

بالأشغال الشاقة وعلى البعض الآخر بالنفي وهكذا تمت الغلبة لكلمة الحق على الباطل وكتب البقاء للحكم النيابي في السلطنة آخر الدهر إن شاء الله.

فكرنا ملياً في أمر عبد الحميد وأردنا أن ننصفه في الترجمة فما رأينا له مزية يذكر بها ويرحم. بلى وجدناه حسوداً يحسد حتى خصيانه وأشق خبر يترامى إليه أن يعلم بأن في إحدى أطراف مملكته عالماً ينفع الناس بعلمه فيحتال عليه ليأتي به إلى الأستانة ليدفنه حياً فإن لم يقدر فلا أيسر عليه من القول عليه وتزوير حيلة للانتقام منه والحط من كرامته. وكان إذا عزّ لا يلحق غبارهُ ثمود وفرعون وإذا ذلّ وذله يكون للأدنياء غالباً ينسى منزلته ومقامه. وكان يلذّه جداً أن يشهد الشقاق مستحكماً بين حاشيته ويلقي بينهم العداوة والبغضاء. وفي أيامه كثر اختلاف النساء إلى قصره حاسرات متبرجات بدعوى أنه خليفة وللخليفة أن ينظر إلى المحارم ولا حرج عليه وعليهن ولهذا اخترع هن وسام الشفقة. ولعل بعض من درسوا الأخلاق الحميدية عن أمم يكتبون كتاباً مفصلاً فيها ليقراً الأخلاف عن الأسلاف ما فعلته في ذلك المخلوع قلة التربية والعلم وفساد الفطرة والله أعلم.

في سالانيك

لقد سمعوا من الوطن الأنيان ... فضجوا بالبكاء له حينا
 وناداهم لنصرته فقاموا ... جميعاً للدفاع مسلحين
 وتاروا من مرابضهم أسوداً ... بصوت الاتحاد مزججينا
 شباب كالصوارم في مضآء ... يرون وكالشموس منورينا
 سالانيك الفتاة حوت ثراءً ... يهيم فقضت عن الوطن الديونا
 لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ... ومن هود هناك ومسلمينا
 فكانوا الجيش ألف من جنود ... مجندة ومن متطوعينا

تراهم فيه متحدين عزمًا ... وما هم فيه متحدين ديناً
 هي الأوطان تجعل في بنينا ... إخاءً في محبتها رصينا
 وتتركهم أولي أنف كبار ... يرون حياة ذي ذل جنونا
 وإن الموت خير من حياة ... يظل المرء فيها متكينا

* * *

مشوا والوالدات مشيعات ... خرجن وراءهم والوالدونا
 يقلن وهم من فرح براكٍ ... وهم من حزنهم متبسمونا
 على الباغين متصرين سيروا ... وعودوا للديار مظفرينا
 ولا تبقوا الذين قد استبدوا ... وراموا كيدنا ونخنونا
 فإن لم تنقذوا الأوطان منهم ... فلستم يا بنين لنا بنينا
 فقد هاجروا على الدستور شراً ... بدار الملك كي يستبدونا
 هم الأشرار باسم الدين قاموا ... فعاثوا في المواطن مفسدنا
 فما تركوا من الدستور (شورى) ... ولا أبقوا لغنمه (طينا)

* * *

وكم قلن من قول شجيّ ... لهم فتركنهم متهيجينا
 ومذحان الوداع دنون منهم ... فقلنا الصوارم والجفونا
 وما أنسى التي برزت وقالت ... وقد لفتوا لرؤيتها العيوننا
 إلا يا راحلين لحرب قوم ... لثام ضيعوا الوطن الثينا
 خذوني للوغى معكم خذوني ... ممرضة لجرحاكم حنونا
 وإن لم تفعلوا فخذوا ردائي ... به شدوا الجروح إذا دمي

* * *

ولما جد جددهم استقلوا ... على ظهر القطار مسافرينا
 فطاروا في مراكبه سراعاً ... بأجنحة البخار مرفرفينا
 وظل الجيش صباحاً أو مساءً ... تسير جموعه متابعينا
 فلم يتصرّم الأسوَح إلا ... وهم يربى فروق محبونا
 هنالك قمت مرتحلاً إليهم ... لأبصر ما أومل أن يكونا

* * *

وباخرة علت في البحر حتى ... حكمت بعبابه الحصن الحصينا
 يؤثر جريها في البحر إثرأ ... تكاد به تظن الماء طينا
 فتترك خلفها خطأ مديداً ... بوجه البحر يمكث مستينا
 ركبت بها على اسم الله بحراً ... غدا بسكون لجته رهينا
 فرحنا منه نظر في جمال ... يعز على الطبيعة أن يهونا
 ومرأى البحر أحسن كل شيء ... إذا ليست غواربه السكونا
 كأنك منه نظرت في سماء ... وقد طلعت كوكبها سفينا

* * *

أتينا دار قسطنطين صباحاً ... وقد فتحت لهم فتحاً مينا
 وظل الجيش جيش الله يشفي ... بحد سيفه الداء الدفينا
 فأرهمق أنفوس الطاغين حتى ... سقامهم من عدالته المنونا
 ورد الخائنين إلى جزاء ... أحلهم المقابر والسجوننا
 وخطوا قصر يلدز عن سماء ... له فأنحط أسفل سافلينا
 وأصبح خاشع البنيان يبغي ... عيوناً عن تطاوله عمينا
 خلا من ساكنيه وحارسيه ... فلم تر فيه من أحد قطينا

هوى عبد الحميد به هويًا ... إلى درك الملوك الظالمينا
 ونزل عن سرير الملك خلعا ... وأفرد لا نديم ولا قرينا
 فسبق إلى سلانك احتباساً ... له كي يستريح بما مصونا
 ولكن كيف راحة مستبد ... غدا بديار أحرار سجيننا
 يراهم حول مكة سياجاً ... ويعجز أن ينم لهم عيوننا
 وموت المرء خير من مقام ... له بين الذين سفود هونا

* * *

لقد نقض اليمين وخان فيها ... فذاق جزاء من نقض اليميننا
 وقد كانت به البلدان تشقى ... شقاءً من تجرد مهينا
 فكم أذكى بما نيران ظلم ... وكم من أهلها قتل المثينا
 وكان يدبر من سفه رحاها ... بحجعة ولم يرها طحيننا
 وقد كانت به الأيام تضي ... شهوراً والشهور مضت سنينا
 ولا ضاق صدر الملك يأساً ... وصار يردد الوطن الظنوننا
 وأضحى سيف قائده المقدى ... على الدستور محفضاً أميننا
 حماد من العداة فكان منه ... مكان الليث إذ يحمي العريننا
 وأسقط ذلك الجبار قهراً ... وأنباه بصارمه اليقينا
 فقرت أعين الدستور أمننا ... وشاھت أوجه الثمردينا

معروف الرصافي

الجباية في الإسلام

الصدقات ورسم التعداد